مقدمة كتاب القدس في الفكر المسيحي

يعتبر موضوع القدس، واستطرادًا فلسطين، من أكثر المواضيع تأجّجًا. ليس فقط على الساحة الفلسطينية، دائمًا أيضًا على الساحة العربية والدولية. وما زاد من تأجّجه تنفيذ صفقة القرن التي تمثّلت في التطوّر الخطير الأخير بنقل السفارة الأميركية من تل أبيبالى القدس. والذي يفتح الباب على مصراعيه لحدوث توّرات إضافية تؤدّي الى المزيد من الظلم الذي يقع على الفلسطينيين والتعدّي على حقوقهم ودوس العدالة الإنسانية والضرب بعرض الحائءط بقرارات الأمم المتحدة والقوانين الدولية.

إلاّ أنّ الأمر الأشد إيلامًا هو وجود بعض المسيحيين، لا سيّما الإنجيليين، فهم في أميركا وأوروبا الذين يبرّرون ويدعمون قيام الكيان الإسرائيلي على أرض فلسطين. ويؤيّدون الخطوات الأخيرة التي قامت بها الإدارة الأميركية تحت شعار تحقيق نبؤات العهد القديم بإعادة إرجاع الله شعب إسرائيل الى أرض كنعان، أرض الموعد، أرض فلسطين التي وعد بها آباؤهم وأجدادهم إبتداء من الأب إبرايهم خليل الله ومن ثمّ نسله بعده. وذلك بدون النظر الى موضوع الأرض من زاوية يسوع المسيح نفسه ورسل الكنيسة الأوائل الذين أعادوا تفسير الموضوع بمنظار جديد. ومن ثمّ آباء الكنيسة وبعدهم المصلحين الإنجيليين الأساسيين في القرن السادس عشر الذين التزموا بتوجهات العهد الجديد، وتفسيراتهم الحرفية للنبؤات القديمة دون النظرة الجديدة التي قدّمها العهد الجديد الى موضوع الأرض. فإنهم عن قصد أو غير قصد، زجّوا الكتاب المقدس في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني وبل الصراع العربي الفلسطينين. ليوحوّا الكتاب المقدس من رسالة حياة الى رسالة موت. من رسالة رجاء الى رسالة يأس. من رسالة بناء للإنسان والمجتمعات الى رسالة تدمير للإنسان الفلسطيني والمجتمع الفلسطينين والعدالة بذاتها.

ضمن هذا السياق، كتبت كتابي "القدس في الفكر المسيحي: قراءة معاصرة" وذلك من منظارين أساسيين: منظار لاهوتي ومنظار إنساني.

أولاً: المنظار اللاهوتي: كقسيس لبناني، أنتمي الى التراث الإنجيلي المصلح، الذي يعود الى زمن الاصلاح الإنجيلي جان كلفن، الذي كان من أعظم المفكّرين واللاهوتيين المتعمّقين في دراسة الكتاب المقدس، لأنهل من كفره اللاهوتي نظرته الى موضوع أرض الموعد وإسرائيل. نظرة إنجيلية مصلحة معاصرة الى القضية الفلسطينية وإلى موضوع قيام إسرائيل على أرض فلسطين وكل التبعات التي تلحقها. بالإضافة الى تسليط الضوء على لاهوت مفكّرين إنجيليين ألمان معروفين أمثال اللانوتي كارل بارت واللاهوتي ديتريش بونهوفر، الذين برزوا في القرن العشرين أبان المحرقة النازية وكان لهم مواقف لاهوتية وإنسانية نموذجية تصلح أن يتعلّم منها، ليس فقط كل إنجيليي العالم وفئاتهم المتعددة، بل كل الأخوة والأخوات المسيحيين والمسلمين في المنطقة العربية وأميركا وأوروبا والعالم أجمع.

ثانيًا: المنظار الإنساني: تدرك معظم دول العالم اليوم أن القضية الفلسطينية هي قضية إنسانية بالدرجة الأولى. والتعامل بإنسانية لا يتطلّب أن تكون منتميًا الى دين أو طائفة أو مذهب معيّن. بل يجب أن تكون الإنسانية مسعى الجميع دون استثناء. حول التعامل الإنساني، قال المصلح جان كلفن: "إن إنسانية الإنسان تعطيه الحق أن يطالب بالإحترام والكرامة. على كل إنسان أن يكون لديه الشعور بالاستحقاق كونه إنسانًا. ويجب أن ينظر الآخرون في المجتمع مستحقًا من خلال إنسانيته بغضّ النظر عن الطبقة الإجتماعية التي ينتمي إليها وفي طبيعة علاقته بالمسيح. وبالتالي، أركّز في كتابي على أهميّة القضية الفلسطينية كقضية إنسانية تستصرخ ضمائر الشعوب وقادة العالم كيما يلبّوا هذا النداء المهم لمساعدة الشعب الفلسطيني والعمل على حلّ قضيته بطريقة إنسانية عادلة تحترم صورة الله في كل إنسان يتألّم، لا سيّما الفلسطينيون منهم.

يتضمّن هذا الكتاب أربعة عشرة فصلاً:

في الفصل الأول، نقدّم لمحة عن تاريخ القدس الشريف. وأركّز على مسيحية القدس حيث ولد يسوع المسيح والكنيسة الأولى. ومن هناك انتشرت الكنيسة في أرجاء العالم. وفي الفصل الثصاني، أقدّم القضية الفلسطينية على أنها قصة وطن وشعب طرده الإسرائيليون من بيته وأرضه واستولوا على ممتلكاته. فأصبح هذا الوطن دون أرض. في الفصل الثالث، أسرد قصة قرار الرئيس الأميركي بنقل السفارة من تل أبيب الى القدس والتخطيطات الإستراتيجية والتحضيرات التي كان يقوم بها الإسرائيليون منذ حرب النكبة عام ١٩٤٨. وتريّث الإدارات الأميركية في تنفيذ قرار النقل الى أن أتى الرئيس الأميركي ترامب ونفّذ قرار النقل الذي كان قد وعد بتنفيذه بعض الإنجيليين ثمنًا لانتخابهم له رئيسًا. والفصل الرابع، الذي نتوقّف فيه عند من هم كانوا نزلاء الأرض منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد. والفصل الخامس، نسرد فيه مؤامرة الأمم والدول النافذة الذين لعبوا دورًا بارزًا وبذلوا جهودًا دبلوماسية وسياسية كبيرة كيما يمنحوا أرض فلسطين لإسرائيل.

في الفصل السادس، نرى كيف أن المحرقة النازية التي قام بها أدولف هتلر ضد اليهود كانت السبب المباشر للإسراع في تأمين نقل اليهود من أرجاء العالم، وتوطينهم في فلسطين لتصبح فلسطين بلدهم بدلاً من أن تكون أرض الفلسطينيين.

في الفصل السابع والثامن، نستعرض عددًا من وجهات نظر لاهوتية لإنجيليين يدعمون قيام دولة إسرائيل إنطلاقًا من فهمهم الحرفي لنبؤات العهد القديم. واللاهوت الإنجيلي المصلح، لا سيّما لاهوت المصلح الكبير جان كلفن، الذي آمن أنه لم يعد هناك موضوع وعد الله بإعطاء أرض الموعد للشعب الإسرائيلي، بل أن كل مواعيد العهد القديم قد تحقّقت بشكل كامل في موت وقيامة يسوع المسيح. ولم يعد هناك سوى وعد واحد لا يتحقق الذي هو وعد المسيح بالمجيء ثانية الى الأرض. لا ليحكم ألف سنة بشكل حرفي، ولكن للدينونة.

في الفصل التاسع، نتوقّف مع لاهوت العهد في العهد القديم، الذي أقامه الله مع أبونا إبراهيم. فنتعرّف على آراء المصلح كلفن الذي يبيّن الفروقات بين العهد القديم والعهد الجديد. نرى أن العهد القديم يتحدّث عن منافع أرضية جسدية مؤقتة التي هي مجرّد إنعكاس للبركات الروحية والسماوية التي نراها في العهد الجديد. وكيف أن عهد الله مع إبراهيم لم يكن لنسل إبراهيم بالجسد، أي لمجرّد كونهم يهودًا، إنما لنسله بالروح، أي الذين آمن من اليهود يومؤمنون بالمسيح الى أيّة خليفة انتموا. لأن إبراهيم أصبح أب للمؤمنين بالمسيح.

أما في الفصل العاشر، فننظر نظرة لاهوتية معاصرة الى أرض الموعد على ضوء العهد الجديد. لنرى أن الله منذ العهد القديم لم يهتّم بشعب واحد، وإنما بشعوب متعددة. ونرى كيف أن العهد الجديد من الكتاب المقدس يخلو من أي كلام ووعود عن إعادة الشعب الإسرائيلي الى أرض الموعد. وأن أرض الموعد بالنسبة للمسيحيين لم تعد محصورة بمنطقة جغرافية معيّنة إنما أصبحت مملكة الله السماوية التي ليست من هذا العالم.

في الفصل الحادي عشر، نصحّح مفاهيم خاطئة تربط بين البروتستانتية والصهيونية. ونشدّد على أن المصلحين الإنجيليين الأساسيين، الذين بالإضافة الى تشديدهم على الإصلاح اللاهوتي والكتابي والأبدي وغيره، فإنهم أيضًا سلّطوا الضوء على موضوع العدالة. نتعرّف على فكر بعضهم حول العدالة الاجتماعية.

وفي الفصل الثاني عشر، نتوقّف عند استخدام إسرائيل موضوع معاداة السامية كسيف يسلّط على رقاب كل من ينتقد مواقفها واعتداءاتها المتكرّرة على الفلطسنيين. إذ لم يسلم أحد من هذا السيف. فقد انتقد بعض قادة الحركة الصهيونية تعاليم العهد الجديد من الكتاب المقدس وتعاليم آباء الكنيسة وتعاليم المصلح مارتن لوثر وغيرهم بمعاداة السامية.

وفي الفصل الثالث عشر، نقوم بمحاولة، وبالتواصل مع كتابات بعض اللاهوتيين الفلسطينيين المسيحيين من كنائس مختلفة، المتواجدين في فلسطين، لكتابة لاهوت سياقي مسيحي، بأخذ بعين الاعتبار ظروف القضية الفلسطينية لتوعية المسيحيين العرب وإخوتنا المسلمين والمجتمع الدولي على أهمية العمل من أجل مساندة هذه القضية والعمل

على إيجاد حلّ عادل يضمن حقوق الفلسطينيين، وبالتالي، نذكر بعض الخطوات التي يجب إتخاذها في سبيل تحقيق هذا التوجّه.

نذكر منها، التشديد على تمكين العلاقات المسيحية الإسلامية. الفصل بين القناعات الدينية والمواقف الإنسانية. توحيد الجهود العربية. كسر حوار الصمت. مطالبة الإعلام بنقل الحقيقة، وغيرها من الأمور المذكورة في الكتاب.

وفي الفصل الرابع عشر والأخير، ندعو الى عدم زجّ الكتاب المقدس في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ليكون رسالة حياة للناس. ونقّدم إنتقاد ذاتي لبعضص الإنجيليين الذين يستخدمون عن قصد أو غير قصد، الكتاب المقدس بشكل سياسي. مما يجعل بعض المسيحيين، ولا سيّما الفلسطينيين المسيحيين، يسخرون منه لأنه يروا فيه سببًا لدمار وطنهم قتل شعبهم. لنعيد للكتاب المقدس مكانته الحقيقية كرسالة حياة. لأن يسوع المسيح قال: "أما أنا فقد جئت لتكون لهم حياة ويكون لهم أفضل".

القس سهيل سعود